المتاحف و التنمية المستدامة

Museums and Sustainable Development

د. مجيطنة وفاء. جامعة الجزائر2

wafa.medjitna@univ-alger2.dz

ملخّص:

يعتبر المتحف مؤسسة ثقافية مهمة و أساسية في حفظ التراث المادي و اللامادي في أماكن محددة بهدف ضمان استمرارية الرسائل المتضمنة في هذا التراث و ايصالها للأجيال الحالية و المستقبلية؛ غير أنه يوجد العديد من الكتاب و المفكرين الذين يدعون إلى الاستثمار في أدوار أخرى يمكن للمتحف أن يؤديها و التي تمس المجال الاجتماعي، الاقتصادي و حتى البيئي. من هنا جاء طرح فكرة مساهمة المتحف و دوره في تحقيق تنمية مستدامة من خلال أبعادها الثلاثة، البعد الاجتماعي، البع الاقتصادي و البعد البيئي. و هذا ما نسعى لتناوله من خلال هذه الورقة البحثية.

كلمات المفاتيح: المتحف، دور المتحف، التنمية المستدامة، الدور التربوي التثقيفي، التوعية، حفظ التراث و الهوية.

Abstract:

The museum is an important cultural institution in the preservation of the tangible and intangible heritage in specific places in order to ensure the continuity of the messages contained in this heritage and communicated to current and future generations; Which affect the social, economic and even environmental spheres. Hence the idea of contributing to the museum and its role in achieving sustainable development through its three dimensions, the social dimension, the economic dimension and the environmental dimension. This is what we seek to address through this paper.

key words :

museum, museum role, sustainable development, educational role, awareness, heritage preservation and identity.

مقدمة :

نشأت المتاحف و كانت منذ البداية مؤسسات و أماكن آمنة لحفظ القطع الأثرية و الأعمال الفنية القيمة إلى جانب عرضها و التعريف بها للجمهور الزائر؛ فكانت منذ

بدايتها تستقطب أساسا فئة خاصة من المجتمع هي تلك التي تسعى للحصول على المعلومة انطلاقا من مختلف المعروضات المتوفرة في المتحف. غير أنها اليوم لم تعد كذلك، فقد أصبحت تستقطب فئات المجتمع باختلاف مستوياتها المادية و العلمية، و بالتالي فقد تعددت مهامها ووظائفها، ليس بغرض علمي معرفي فقط بل لأغراض المتعة و الترفيه و التسلية كذلك؛ و بذلك فقد تعددت وظائف المتحف و مهامه خاصة مع ازدياد عدد المتاحف و انتشارها في دول العالم.

من جهة أخرى، شهد العالم في السنوات الاخيرة أزمات اقتصادية متوالية مما أتاح الفرصة لبروز مفهوم ظهر منذ ثمانينيات القرن الماضي، ألا و هو مفهوم التنمية المستدامة الذي أصبح يمثل نموذج لتنمية أكثر استمرارية و استقرارا نظرا لما يمكن ان يضمن من توازن بين ركائزه الثلاثة: الركيزة الاقتصادية، الاجتماعية و البيئية.

في ظل هذا السياق العام، ظهرت بعض الآراء التي تدعو الى استغلال المتاحف لتحقيق و تجسيد تنمية مستدامة على أرض الواقع، نظرا للأدوار التي يمكن أن تؤديها على الصعيد الاقتصادي، الاجتماعي و حتى البيئي. كل هذه المعطيات تجعلنا ننادي بضرورة إعادة النظر في مكانة المتحف في الخطط التنموية و منحه اهتماما أكبر مما يخول له آداء الدور التنموي المستدام المبتغى. خاصة و أن المجلس العالمي للمتاحف إيكوم قد اختار سنة 2015 شعار "المتاحف و التنمية المستدامة" كشعار لافتتاح اليوم العالمي للمتاحف و المصادف لـ 18 ماي من كل سنة.

و من هنا جاءت أهم الدوافع لاختيار هذا الموضوع، إذ يعتبر مفهوم التنمية المستدامة من أكثر المفاهيم الرائجة و الأكثر استخداما في عصرنا هذا من طرف المختصين و غير المختصين، في الخطابات الرسمية للمسؤولين و المسيرين و من طرف عامة الناس؛ يقوم هذا المفهوم على ثلاث ركائز، اقتصادية، اجتماعية و بيئية؛ يمس بذلك كل نواحي حياة الانسان الذي قد يساهم في تجسيده انطلاقا من سلوكه اليومي البسيط وصولا إلى تطبيق البرامج التنموية الكبرى .

يعتبر ميدان المتاحف ، و الذي رغم قلة التطرق له و الاهتمام به في العالم العربي و الجزائر خاصة، من الميادين المعول عليها في الدول المتقدمة في هذا المجال، و منه ارتأينا تناول الموضوع و تسليط الضوء بشيء من التفصيل على دور المتاحف في ارساء تنمية مستدامة فعلية.

تتلخص أهداف الدراسة في عدد من النقاط التي نسعى إليها من خلال هذه الورقة البحثية، و هي:

- القاء الضوء على المتاحف، مفهومها، نشأتها و أهميتها؛
- تحليل خاصية الاستدامة في الدور الذي يمكن أن تلعبه المتاحف من حيث الأبعاد الثلاثة للتنمية المستدامة.

و لتحقيق هذه الأهداف، و نظرا لأهمية الموضوع، ارتأينا محورة العمل البحثي حول التساؤلات التالية:

- ماهيةالمتحف؟ نشأة المتاحف في العالم؟
- أهمية المؤسسات المتحفية؟
- مفهوم التنمية المستدامة و ركائزها؟
- هل فعلا يمكن للمتحف المساهمة في التأسيس و تجسيد تنمية مستدامة؟ كيف ذلك؟ و ما هي السبل الواجب اتباعها؟

و قد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي و ذلك من خلال رصد لواقع المتاحف في الجزائر و العالم عموما إلى جانب المنهج التحليلي كمحاولة لتأكيد مدى مساهمة المتاحف و دورها في تدعيم التنمية المستدامة.

1- مفهوم المتاحف و نشأتها:

أ- بداية ظهور علم المتاحف:

قبل التطرق لمفهوم المتحف و أهميته، يجدر بنا الاشارة لوجود علم يهتم بهذا المجال و هو علم المتاحف الذي يعود ظهوره للقرن الثامن عشر و يعود أقدم مؤلف لـ كاسبر ف. نايكل(كتاب موزيغرافيا عام 1727). و قد كان مجرد تاجر في مدينة همبورغ، تكونت لديه بالممارسة العلمية و المتابعة العملية خبرة فنية بكل ما يتعلق بالمجموعات الفنية و الطبيعية و العلمية و كيفية المحافظة عليها و حسن تصنيفها.[1] و قد أصبح

علم المتاحف اليوم علم مستقل بذاته و تخصص يدرس في العديد من الجامعات عبر العالم؛ كما و قد أولته منظمة اليونسكو أهمية معتبرة تبرز من خلال العديد من الاصدارات مثل مجلة ميوزيومMUSEUM، و مجلة المتحفJOURNAL MUSEUM ، و مجلة المتحف الدولي و اصدارات أخرى يصدرها اتحاد المتاحف العالمي ICOM.

1- تعريف المتحف:

تختلف التعاريف المقدمة للمتحف باختلاف التخصصات، غير أن التعريف اللغوي يحظى بإجماع أكبر؛ و عموما يمكننا تقديم التعريف اللغوي على أن كلمة متحف تعني المكان الذي تجمع فيه التحف، والتحفة هي الشيء النادر الثمين الذي تتزايد قيمته كلما بعد الزمن الذي يعود إليه والمعنى أو الموضوع الذي يدل عليه .و الُتحفة بالضم، وجمعها تحف[2]. إن لفظ "متحف" باللغة العربية فهو مشتق من "*أتحفه به*" أي أهداه إليه؛ و لفظ تحفة "هدية" و شيء فاخر ثمين؛ و يفيد لفظ المتحف معنى المكان الذي جمعت فيه الهدايا و الأشياء الفاخرة الثمينة و الاثار الفنية و الممتلكات الثقافية و النفائس و القطع الناذرة التي تهفو النفوس إلى رؤيتها و تتطلع إلى التأمل فيها و الاعجاب بها[3].

اما بالنسبة للتعريف الاصطلاحي فقد تنوعت التعاريف المقدمة رغم اتفاقها حول مفهوم أساسي يعتبر المتحف مبنى يحوي على مجموعات من الأشياء ، يفتح للمشاهدة و الدراسة و التسلية[4]، و هو كذلك المكان الذي تجمع فيه روائع المنتجات الإنسانية منذ فجر تاريخه وحتى الآن، سواء كانت هذه المنتجات فنية أو حربية أو حتى ما أنتجه الإنسان لاستعماله الشخصي على مدار حياته اليومية ويكون هذا المكان مزارًا يقصده الإنسان بقصد المتعة والدراسة والبحث وإكتشاف القيم الإنسانية المتمثلة في إبداعات الإنسان في مختلف العصور.

بصفة عامة، نلاحظ أن هذه التعريفات تدور حول مبنى المتحف الذي يصمم خصيصًا من أجل أن يلائم طبيعة المعروضات والمواد التي سوف يحتويها من حيث طبيعة المواد

المعروضة، الشكل والحجم والنوع والتي يجعلها مبنى المتحف كلها في وحدة واحدة منسجمة وذات مضامين وأهداف مختلفة[5].

غير انه من الاجدر تبني التعريف المقدم من طرف اهم منظمة دولية تعنى بالمتاحف و هي المجلس الدولي للمتاحف الايكو ICOM؛ و قد أعطى أول تعريف له سنة 1948، بعدها وضعت عدة تعديلات على هذا التعريف لتتناسب وتطور المتاحف وإدراج وإنشاء منشآت متحفية جديدة .جاءت الصيغة الأخيرة لتعريف المتحف بحسب قانون الإيكوم المعتمد في الاجتماع السادس عشر للإيكوم في هولندا عام 1989 ، المعدل في الاجتماع الثامن عشر للإيكوم في النرويج عام 1995 ،ومن ثم في الاجتماع العشرين للإيكوم في أسبانيا عام 2001 ،كما يأتي : "المتحف هو معهد دائم، دون هدف ربحي، في خدمة المجتمع وتطوره،مفتوح أمام الجمهور، وتجري فيه البحوث المخصصة للشواهد المادية للإنسان وبيئته، يجمعه او يحفظها و يقدمها للجمهور بهدف الدراسة و التعليم والترفيه"[6]. إلا أن المتاحف اليوم أصبحت تصبو لتحقيق أرباح مادية كذلك، خاصة من خلال تنشيط السياحة الثقافية.

ج- نشأة المتاحف في العالم: من الرغبة في الجمع إلى المتاحف

إن المتاحف بمفهومها الحديث ليست قديمة المنشأ بل تنطوي أصولها على نوع من الحداثة في تاريخ البشرية الثقافي[7]، رغم ذلك، تجدر الاشارة إلى أن أهمية نشوء فكرة المحافظة على كل شيء جميل قد ظهرت في المعابد القديمة؛ و بالعودة إلى لفظ "متحف" أو "مزيوم*MUSEUM*"، نجده ليس من مبتكرات عصرنا الحالي، فقد عرف قدماء الاغريق لفظ "*مزيون*"*MOUSEION* الذي أطلقوه على معبد *شيد* على تل *هيليكون* قرب أكروبول أثينا، و كان التل مخصصا لربات الفنون التسع حيث كانت كل واحدة ترعى أحد الفنون. و ربما كان في معبدهن، مثل بقية المعابد الأخرى القديمة، كنوز هامة و هدايا ثمينة قدمها أصحابها كشارة اعتراف بالجميل و الشكر للآلهة.

و عندما أبدع قدماء الرسامين الاغريق روائعهم الفنية، حفظها الأثينيون في قاعة جميلة كانت تشكل أحد أجنحة مبنى*PROPYLEE* عند مدخل المدينة. و قد ذكر الجغرافي *بوزانياس* في القرن الثاني ق.م. أنه أطلق على هذه القاعة اسم

"*بيناكوتيك*Pinacothéque" و قد أطلقت ألمانيا هذا الاسم على أحد متاحفها الهامة في مدينة ميونيخ في بافاريا[8].

أما فيما يخص العرب و المسلمين، فخلال ازدهار حضارتهم في العصور الوسطى لم تكن المتاحف بالمفهوم المعاصر معروفة لديهم، غير أن التاريخ يحدثنا عن الثراء و الترف و تذوق الاعمال الفنية الجميلة و تشجيع الفنانين الموهوبين و الصناع الماهرين في سبيل ايداع أجمل الأعمال الفنية و التحف الجميلة و النفائس النادرة. فتشكلت لدى الخلفاء و الأثرياء هواية جمع الأعمال الفنية و الطرائف و التحف و النفائس و الذكريات و المخطوطات و الأسلحة. و بالتالي كان التأسيس لمتاحف بسيطة، خاصة إذا عرفنا أن النشأة الأولى للمتاحف طالما ارتبطت بغريزة الجمع، فقد كان الانسان منذ القدم يجمع كل ما يستهويه و يجد فيه سعادته.

أما في أوربا، فقد بدأ العديد من الأمراء منذ القرن الـ14م تبدي أهميتها الكبيرة في تشكيل مجموعات فنية خاصة و اقتناء التحف الجميلة و النفائس و الآثار القديمة خاصة بعد أعمال حفر تمت في ايطاليا كشفت عن وقائع فن قديم. و قد اعتبرت مجموعة أسرة "*ميديتشي*" في القرن الـ15م كأعظم المجموعات الفنية في ذلك العصر؛ و ظهرت روما كمدينة متحفية تزهو بمجموعات فنية رائعة.

بعد متاحف المجموعات الفنية، ظهرت متاحف الآثار في فرنسا في النصف الأول من القرن الـ19م،و بدأت عمليات التنقيب و خصص جناح للآثار المصرية عام 1826م، ثم جناح للآثار الشرقية. و ظهرت متاحف مثل متحف اللوكسمبورغ في باريس، متحف الفنون الزخرفية في أحد أجنحة اللوفر في باريس...

و إلى جانب ايطاليا و فرنسا، نجد انجلترا التي يعد شعبها من أكثر الشعوب اهتماما بالمتاحف، إلى جانب اسبانيا و الدول الاسكندنافية و الولايات المتحدة الأمريكية التي تعتبر من أولى الدول التي استخدمت المتاحف في مجال التربية و التعليم، إضافة للاستفادة من أحدث المبتكرات العلمية و الصناعية في المحافظة على المجموعات المتحفية و حسن عرضها[9].

وقد شهدت المتاحف عبر العالم منذ القرن الماضي تطورا معتبرا سواء من حيث الوسائل و التكنولوجيا المستعملة في العرض و حفظ المقتنيات، و حتى من حيث العدد إذ ارتفع عدد المتاحف في العالم من 22 000 في عام 1975 إلى 55 000 اليوم[10].

2- أهم تصنيفات المتاحف:

توجد عدة تصنيفات للمتاحف متبعة في العالم، ويتم ذلك وفقا لأسس عديدة كنوع المقتنيات و طبيعة الفضاء الذي تعرض فيه.

يمكن أن نبدأ التصنيف حسب طبيعة المقتنيات و المواضيع المتناولة، و هنا نجد ثلاث مجالات رئيسة هي الفن والتاريخ والعلوم مثل التصنيف المتبع في المتاحف البريطانية؛ غير انها تقسم بصفة عامة الى أربعة أقسام و هي:

- متاحف الفنون وتشمل متاحف الفنون التطبيقية، متاحف المشاهد المسرحية، متاحف الموسيقا والرقص، المتاحف الأدبية، متاحف التصوير والسينما و متاحف العمارة .
- متاحف علوم الانسان: و تشمل متاحف التاريخ والآثار وعصور ما قبل التاريخ، متاحف الأثنولوجيا و الأنتربولوجيا والفلكلور، المتاحف التعليمية والمتاحف الطبية.
- متاحف العلوم الطبيعية.
- متاحف العلوم والتقنيات.[11]

أما حسب الفضاء الذي تعرض فيه المقتنيات، فتنقسم المتاحف إلى:

- متحف مبني: حيث تكون المقتنيات معروضة داخل مبنى تتوفر فيه كل شروط العرض و الحفظ؛
- متحف في الهواء الطلق: عادة ما يكون عبارة عن موقع أثري أو معلم تاريخي يتعذر نقل الآثار الموجودة فيه لسبب أو لأخر فيتم تحديد موقعه الجغرافي و يستغل كمتحف في الهواء الطلق؛
- متحف افتراضي: تعرف رواجا كبيرا عبر العالم، فمعظم المتاحف اليوم توفر خدمة تسمح بالزيارة عبر شبكة الانترنيت.

أما معيار طبيعة الملكية، فيمكننا من التمييز بين المتاحف العامة التي عادة ما تسير من طرف الدولة، و المتاحف الخاصة التي تكون تابعة لأشخاص معنويين أو ماديين[12].

3- أهمية المتحف ووظائفه:

يهدف كل متحف عموما، إلى حماية التراث و الأعمال الفنية ذات القيمة التراثية، لكن سياسة المتاحف تهتم أيضا بإثراء هذا التراث و التعريف به في إطار ثقافي يتأقلم مع حاجيات و متطلبات المجتمع؛ فالمتحف منوط بأداء مهمة سامية ألا و هي توصيل المعلومة إلى الجمهور الكبير و تحقيق العدالة في حق الجميع في التربية و الثقافة، كما يوضح ذلك *أ.مالرو* في كتابه "المتحف الخيالي" : "*دور المتاحف كبير في رسم علاقتنا مع التحف الفنية إلى درجة أننا نتصور بصعوبة أنها لم تكن أو أنها لم تكن لتوجد*" [13]. فذاكرة الأمم و ماضيها محفوظ بفضل هذه المؤسسات في مجالات مغلقة أو مفتوحة على الهواء الطلق، لكنها تخضع لمراقبة و صيانة مستمرة تضمن استمراريتها لتستفيد منها الأجيال المستقبلية.

و منه و بالرغم من تعدد وظائف المتحف و مهامه، إلا أنه توجد وظائف أساسية تشكل محور عمله و أهدافه؛ و بصفة عامة، يمكننا تلخيص الوظائف التي يمكن للمتحف القيام بها في[14]:

- الجمع و الاقتناء، إذ لا يمكن تصور متحف دون مجموعات أو مقتنيات؛ فهي تمثل المرتكز الرئيسي الذي تدور حوله جميع نشاطات المتحف. تتم هذه العملية بطرق عدة منها: جمع العينات من الميدان، الشراء، التبرعات و الاهداء، إلى جانب الاستعارة من متاحف أخرى؛
- تسجيل و توثيق العينات والمقتنيات حتى تظل في أمان و ليسهل الوصول اليها؛
- حفظ و تخزين المجموعات المتحفية في أماكن ملائمة تحترم طبيعة المواد المتكونة منها؛

– الترميم و الصيانة، إذ تعتبر عملية مكملة لعملية حفظ المواد. و الترميم هو محاولة إرجاع الأشياء إلى أصلها و مظهرها الأول؛ و تختلف عملية الترميم من قطعة لأخرى حسب مكوناتها التي قد تدخل فيها مركبات كيميائية؛

– العرض المتحفي؛ و يعتبر من أهم العمليات المتحفية المباشرة، فعرض المجموعات المتحفية للجمهور الزائر يوضح طبيعة المتحف و الرسالة التي يود ايصالها؛ كما أن العرض هو الوسيلة الاعلامية الأكثر نجاحا في تبليغ المعلومة للجمهور و معظم المتاحف اليوم تقوم بذلك بطريقة علمية و باستخدام التكنولوجيا الحديثة؛

– تأمين أمن و سلامة كل من المعروضات، زوار المتحف و مبنى المتحف في حد ذاته؛

– الوظيفة التعليمية و البحثية لمختلف المستويات.

4- قراءة لإحصائيات بعض المتاحف في العالم و الجزائر:

تعتبر الاحصائيات عنصرا مهما لقياس نشاط المتحف كمؤسسة ثقافية و علاقته بالمجتمع؛ ففيما يتعلق بالجزائر، نجد أن أول معطيات احصائية حول الزوار الذين يرتادون المتاحف تعود الى ما بعد سنة 1976؛ و هذه المعطيات متضمنة في جدول محتفظ به في ارشيف المتحف الوطني للاثار مع العلم ان هذه الاحصائيات لا تغطي سوى 50% من المتاحف و المواقع الاثرية المستغلة في الجزائر انداك؛ كما أنها كانت نعطيات عامة لا تتضمن تفاصيل وافية حول خصائص زوار المتاحف من حيث العمر، الجنس و المستوى الثقافي[15]. فمكانة المتاحف و دورها التثقيفي لم يبرز الا بع السبعينات بفضل خلق وزارة الثقافة سنة 1970 ثم اصدار المرسوم 75-35 المنظم لوزارة الاعلام و الثقافة. شهد هذين العقدين نهضة ثقافية لا باس بها في البلاد خاصة بعد حملة التعريب و السعي لاسترجاع مقومات الهوية الوطنية؛ و بالتالي كان تدعيم دور المتاحف من بين اسس الاستراتيجية المتبعة خلال هذه الفترة، فاصبح عدد الزوار يقدر بالالاف إذ تعدى الامئة الف خلال الفترة 1981-1985 بالنسبة للمتحف الوطني للأثار في العاصمة. غير ان عشرية التسعينات قد شهدت تراجعا بسبب الظروف الامنية التي مرت بها البلاد، لتستعيد المؤسسات المتحفية مكانتها و نشاطها بعد

منتصف الالفينات(2005-2006). و ينتمي زوار المتاحف الجزائرية الى ربع فئات هي: المتمدرسون، البعثات الرسمية، الزوار العاديون الوطنيين و الأجانب.

5- دور المتحف في تحقيق التنمية المستدامة: في حقيقة الأمر، إن اهتمام المتاحف بحفظ التراث و مختلف النشاطات و التظاهرات الثقافية يجعلها غير بعيدة عن مختلف القضايا المعاصرة و التي تتمحور عموما حول تحقيق تنمية مستدامة كفيلة بضمان استمرارية الحياة المتوازنة على كوكب الأرض عموما و داخل المجتمعات و الدول على الأخص؛ إذن لا يمكننا إقصاء المؤسسات المتحفية من آداء دورها الابداعي في إطار التنمية المستدامة.

فالمتاحف لها دور اذن في الحفاظ على التراث و استدامته، و من جهة أخرى تنشيط و تدعيم قطاعات اقتصادية تعتبر من دعائم التنمية المستدامة كالسياحة. و بذلك فهي تحقق على الأقل هدفا من أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر (الهدف 12: ضمان وجود أنماط استهلاك و انتاج مستدام)[16].

أ- **مفهوم التنمية المستدامة و أبعادها:** قبل الحديث عن مركز المتاحف من التنمية المستدامة، نرى أنه من الضروري ضبط هذا المفهوم الذي أعطيت له عدة تعريفات. لقد أصبح مفهوم التنمية المستدامة أكثر شعبية، خاصة في مجال البيئة، وأتخذ كشعار سنة 1987 بمناسبة نشر تقرير الأمم المتحدة المسمى تقرير برنتلند[17]؛ « *تتطلب التنمية المستدامة الربط بين: التنمية، الحفاظ على الطبيعة والموارد، والعلاقات الإجتماعية المتناسقة، فهذه التنمية ترتكز على ثلاث أعمدة: بيئية، اقتصادية واجتماعية* »[18] . ويكون التنسيق والتوفيق بين هذه الركائز من خلال الحكم الرشيد الذي يضمن إدماج المواطن وإقرار الديموقراطية (أنظر الشكل 01).

الشكل رقم (01): ركائز التنمية المستدامة.

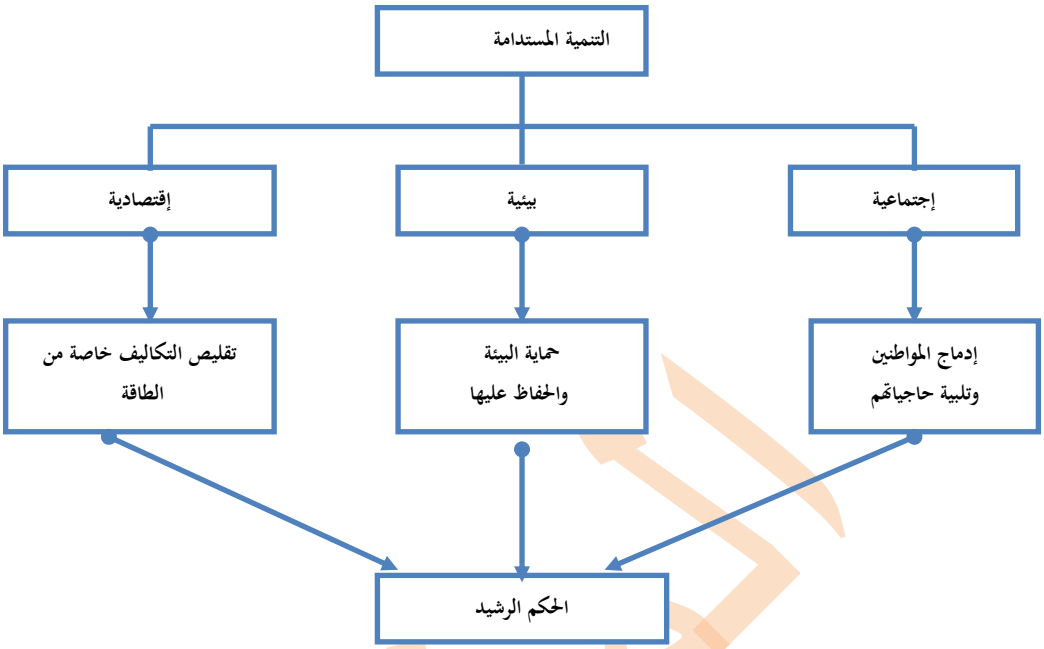

فمبدأ التنمية المستدامة يجعل الإنسان في مركز أي عملية تنموية، وهو يتضمن التنسيق الجيد والشفافية التامة بين مختلف الفاعلين. تدور الفكرة الأساسية للتنمية المستدامة حول أن ثمن التنمية الاقتصادية لا يجب أن يكون زوال أو تلوث الأنظمة البيئية؛ ويجب كذلك على الاقتصاد والبيئة معا تجاوز التعارض الكلاسيكي الموجود بينهما، والدخول في دائرة التوافق والتكامل[19]، إنها دائرة « *التنمية التي تلبي الحاجيات الحالية دون رهن قدرة الأجيال المستقبلية على تلبية حاجياتهم* ».[20]

ب- المتحف وأبعاد التنمية المستدامة: يمكن للمتحف، كما أشرنا سابقا، أن يساهم في تدعيم رؤية واقعية للتنمية المستدامة، و يكون ذلك من خلال النقاط التالية:

ب-1-البعد الاجتماعي:

- **المتحف والمجتمع**: يرتبط المتحف بالمجتمع أولا و قبل كل شيئ نظرا للفضول الذي يميز الانسان بصفة عامة حول تطور البشر من الناحية الفزيولوجية و

الحضارية كذلك؛ فالمتحف يقدم للناس معلومات عن حياة الانسان في العصور القديمة خاصة البعيدة التي يتعذر الحصول على معلومات متناقلة عبر البشر. فالمقتنيات المعروضة داخل المتحف تعتبر أكبر دليل على الحضارات التي مرت عبر منطقة ما، و بالتالي فالمتحف بطاقة تعريفية لماض أمة ما.

من جهة أخرى و نظرا لثرائها بمعلومات نادرة، قد لا نجدها في أماكن أخرى،فالمتاحف تساعد على الاستكشاف كما تنمي العقول و تمهد الطريق لخلق الولاء للوطن الذي ينتمي اليه الزوار؛ و بالتالي يمكننا القول أن المتاحف يمكنها تحقيق البعد التاريخي لشعب ما[21].

و بذلك فالمتاحف أداة للمحافظة على الحضارة القومية و حفظ الهوية و عرض التطور الحضاري للأمة ضمن مساحة آمنة و محفوظة تعمل على مواجهة أي خطر طبيعي أو بشري قد يهدد الموروث الحضاري لأي منطقة أو دولة؛ كما يعتبر المتحف أداة من أجل ضمان المساواة في الحق في تقاسم الثقافة العامة.

- احياء شهر التراث الذي يتزامن عادة مع تاريخ 18 ماي الذي يصادف الاحتفال باليوم العالمي للمتاحف الذي بدا الاحتفال به منذ1977 ، حيث يكون الاحتفال في اطار موضوع تختاره اللجنة الاستشارية للمجلس الدولي للمتاحف. يقوم القائمون على المتحف بنشاطات عديدة منها عرض التحف و الاعمال الفنية و استقبال الزوار و الدخول عادة ما يكون مجانيا خاصة بالنسبة للتلاميذ.

الدور التربوي للمتاحف:

ينتظر الكثير من المتاحف أن تلعب دورها التربوي، و من بينهم الكاتبة *هيلدهاين* التي أشارت في كتابها "*المتاحف في تحول*" إلى اشكالية الدور التربوي الذي تتوقعه المتاحف و يكمن ذلك في تعديل الخبرات الجزئية التي يمكن أن تعبر عنها معروضة ما. إذ تدعو الكاتبة إلى ضرورة تغيير دور المتاحف من كونها فضاءات عرض متمركزة حول الغرض إلى مكان القصة الانسانية و انتاج الخبرة. كما أكدت على ضرورة تغيير الدور

الذي تلعبه المتاحف، بحيث لا يكون هامشيا للتعليم الرسمي و ليس مستقلا عنه، بل مكان يرعى تجربة "تعلم التعلم".[22]

فالمتاحف تعتبر من أهم مصادر التعلم خارج المدرسة من خلال تنوع الخبرات و المعارف التي تقدمها للتلاميذ من خلال الملاحظة المباشرة و المحسوسة. كل هذا ضمن المرحلة الجديدة من التطور التي يمر بها التعليم حاليا و التي تعرف باسم "التعليم غير النمطي "والذي يقصد به الخروج بالعملية التعليمية من القالب التقليدي لها واستخدام مصادر تعلم جديدة متاحة فى البيئات المؤسسية المختلفة.

وقد ظهرت نظرة متجددة للمتاحف بوصفها مؤسسات تعليمية متكاملة؛ حيث تتكامل مع الفصل الدراسي لتعطى الموقف التعليمي هويته وتفرده، ومن ثم قد تؤثر فى المتعلم عندما يتفاعل معها بشكل يصعب أن توفره البيئة التعليمية التقليدية، ولذا تساعد في إتمام التعلم.[23]

كما أنه ومن خلال تنظيم نشاطات متنوعة كالندوات و ملتقيات بالتنسيق مع الطاقم الاداري للمتحف، يمكن لهذا الاخير ان يحفز مختلف فئات المجتمع و خاصة الشباب منهم بالاهتمام بالتراث. و هنا تجدر الاشارة إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا من الدول التي اهتمت مبكرا بالاستفادة من المتاحف في قضايا التربية.

كما تجدر الاشارة كذلك الى أن التربية المتحفية قد اصبحت مجالا يدرس و مهنة تمارس في المتاحف الصغيرة و الكبيرة منذ ستينات القرن الماضي، بعدما بدأت نشاطها البسيط منذ بداية القرن العشرين و بالضبط خلال الحرب العالمية الاولى في أوربا[24].

وفي عام 1979 أمكنترسيخمفهوم التربية المتحفية مجالًا مستقلًا بذاته حيث تناولته العديد من المؤتمرات مثل مؤتمر االمجلس الدولي للمتاحف (الأيكوم International Council of Museum ICOM) الذى نادى بإدراج التربية المتحفية في الخطة العامة للمتاحف، بحيث يصبح من واجبات المتحف الأساسية تثقيف الجمهور علي اختلاف أعماره وطبقاته الاجتماعية؛ وهكذا انتشرت التربية المتحفية في معظم متاحف أوروبا وأمريكا وأخذت بهاشعوب أخرى كثيرة في أفريقيا وأسيا وأمريكا اللاتينية.

ومن هذا المنطلق تنظر معظم الدول المتقدمة إلى المتاحف على أنها مؤسسات تعليمية تربوية و أماكن لتنفيذ أنشطة ثقافية منظمة من خلال برامج تربوية مدروسة

تسمى التربية المتحفية (Museum Education) هدفها تقديم مصادر جديدة للتعلم بأسلوب[25].

ب-2- البعد الاقتصادي:

يمكن للمتاحف أن تؤثر في الاقتصاد من خلال:

- المساهمة في التنمية المحلية، فرغم أن المتاحف اليوم قد أصبحت مراكز مفتوحة للجمهور، تسعى لخدمته و تطوير المجتمع و لا تتوخى الربح المادي بالدرجة الأولى، إلا أنها تساهم من خلال المداخيل المالية البسيطة في تحريك التنمية المحلية و خاصة من خلال العائدات الناجمة عن زيارات الأجانب الذين يدفعون بالعملة الصعبة و تخصص لهم حقوق دخول خاصة عادة ما تكون أعلى من حقوق دخول المواطنين و الزوار العرب بالنسبة للعديد من الدول العربية مثلما نجده في المتاحف التونسية.
- المتاحف و السياحة الثقافية: لم تعد المتاحف مجرد أماكن تعرض فيها القطع الأثرية و الاعمال الفنية، بل أصبحت محركا هاما للسياحة الثقافية نظرا لاستقطابها للسياح من مجلات داخلية و خارجية بالنسبة لبعض المتاحف ذات الصيت العالمي.

فقد تطور دور المتاحف ليشمل مجال صناعة السياحة و هذا ما يمكن لمسه من خلال زيادة الطلب على بعض الوجهات السياحية بفضل متاحفها التي أصبحت عناصر أساسية للجدب السياحي و الذي رغم ضعفه في العديد من الدول العربية، فإنه ذو تأثير معتبر في الدوا الغربية؛ و هنا يمكننا الاشارة الى متحف اللوفر في فرنسا الذي يتصدر القائمة بعدد زوار يتجاوز 8,500,000 ، يليه المتحف البريطاني في لندن 5,569,981 زائر، ومن ثم متحف المتروبوليتان للفنون في نيويورك بعدد يتجاوز 4,891,450[26].

ب-3-. البعد البيئي:

رغم كون المتاحف مؤسسات تسعى بالدرجة الأولى لحفظ التراث و صيانة الاعمال الفنية و المنجزات الثقافية، إلا أنها لم تبق في معزل عن القضايا المعاصرة و التي قد تأخذ

صفة العالمية في الكثير من الأحيان؛ و تعتبر القضايا البيئية بما فيها الأخطار الكبرى الطبيعية و التكنولوجية من أهم هذه القضايا. و يمكننا تلخيص دور المتاحف في هذا الخصوص، إذ تساهم:

- حماية البيئة الطبيعية و المبنية إلى جانب حفظ الموروث عن الحضارات السابقة
- الدور التوعوي أو المهمة التوعوية التي عادة ما تسند للمتاحف التي لها التأثير في ايقاظ و تعزيز الحس المواطني و المسؤولية لدى عناصر المجتمع سواء كأفراد أو كمؤسسات.

6- **المتاحف و التكنولوجيا الحديثة**: لقد أصبح تبني مختلف التكنولوجيات الحديثة أمر ضروري لاستيفاء مفهوم الاستدامة و ذلك مع ما نعيشه اليوم في ظل نظام العولمة. إن اهتمام المتاحف بجمع القطع الأثرية القديمة و الأعمال الفنية ذات القيمة الثقافية لا يعني بعدها عن استخدام التكنولوجيات الحديثة في إطار سعيها لان تكون قطبا عالميا ذا جودة و ذلك من خلال الزيادة في مساحات العرق و اعادة ترتيب القطع المعروضة باستخدام تقنيات حديثة و أساليب جديدة أكثر منهجية و بيداغوجية تساعد على ترك انطباع ايجابي لدى الزائرين للمتحف و رضاهم و حتى خلق و تعزيز الثقافة لديهم من خلال فهم منهجي للرسائل المراد ايصالها من خلال عملية العرض. و المتحف الوطني التونسي باردو و كذلك متحف سوسة خير مثال.

و هذا ما تسعى اليه المتاحف العالمية الكبرى في اطار التنافس على حيازة مراكز اولى في التصنيفات العالمية؛ بل إن هذه المتاحف أصبحت توفر خدمة الزيارة الافتراضية من أجل تشجيع الجماهير على القيام بزيارة فعلية حقيقة للمتحف.

خلاصة:

في ختام هذه الورقة البحثية، نود أن نؤكد الدور الفعال للمتاحف في تحقيق التنمية بصفة عامة داخل المجتمعات من خلال الحفاظ على موروثها كدليل على عراقتها و بعدها الحضاري، إلى جانب الاهتمام و التطلع للازدهار الثقافي في المستقبل، آخذة بعين الاعتبار

التغيرات الاجتماعية و حتى الاقتصادية و السياسية التي تصيب هذه المجتمعات في ظل هذا العالم المتغير حتى لا تفقد أهم معالم هويتها.

من زاوية أخرى، يمكننا الحديث عن قدرة المتاحف على ضمان الأبعاد الثلاثة للتنمية المستدامة، البعد الاجتماعي، الاقتصادي و البيئي؛ نظرا لما يمكن أن تحققه من خلال دورها التربوي، ضمان عائدات مالية أكثر استمرارية و أقل تأثيرا على البيئة، تنشيط السياحة الثقافية، تثقيف أفراد المجتمع و ضمان المساواة في الثقافة العامة، الحفاظ على التراث و الهوية ...

. لذلك نرى أنه من الضروري تنمية الثقافة المتحفية من أجل تعزيز دورها التنموي بصفة عامة و زيادة الوعي بذلك لذى أفراد المجتمع مع توضيح سبل الاستفادة منها سواء على الصعيد المادي أو الثقافي المعنوي. إلى جانب بدل جهد أكبر من طرف الجهات المعنية من أجل تطوير المتاحف خاصة في الجزائر و الدول العربية عامة من أجل وضعها على المسارات السياحية و استغلالها في صناعة سياحة مستدامة.

الهوامش

[1] بشير زهدي: ***المتاحف***؛ منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق 1988. ص11

[2] أيمن الطيب الطيب سيد أحمد: ***المتاحف في السودان و دورها في السياحة***؛ مذكرة ماجستير في الاثار، كلية الاداب و الاثار، جامعة الخرطوم، 2009. ص05.

[3] بشيرزهدي:المرجع السابق. ص15.

[44] عياد موسي العوامي: مقدمة في علم المتاحف ، طرابلس ، ليبيا 1984 . ، ص 7.

[5] أيمن الطيب الطيب سيد أحمد: المرجع السابق. ص13-ص19.

[6] سعيد الحجي: ***متاحف الاثار،هويتها، تطورها وو قعها المعاصر***؛ مجلة جامعة دمشق، المجلد30، العدد 3+4، 2014. ص04.

[7] /http://www.unesco.org/new/ar/culture/themes/museums

[8] بشير زهدي: المرجع السابق. ص15-16.

[9] المرجع نفسه. ص24-36.

[10] موقع منظمة اليونسكو/https://ar.unesco.org

[11] سعيد الحجي: المرجع السابق. ص04.

[12] مالكي زوهير: ***مكتبات المتاحف الوطنية الجزائرية: شروط وامكانيات الربط على شبكة الانترنيت***؛ مذكرة ماجستير، تخصص التكنولوجيا الحديثة للتوثيق و الأرشيف، قسمعلم المكتبات و و العلوم الوثائقية، كلية العلوم الانسانية و الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2009. ص31.

[13] الموقع الرسمي للمتحف الوطني التونسي باردو: http://www.bardomuseum.tn

[14] أيمن الطيب الطيب سيد أحمد: مرجع سابق. ص13-ص19.

[15] لعمى عبد الرحيم: ***الدور التثقيفي للمتاحف الجزائرية، دراسة نموذجية للمتاحف الوطنية***؛ رسالة دكتوراه تخصص الفنون الشعبية، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2014/2013. ص206.

[16] تقرير التنمية البشرية لمنظمة الأمم المتحدة، 2015. ص15.

[17] -Bailly Antoine: ***Développement social durable des villes***, ***Principes et pratiques***, Ed Anthropos, Paris, 2000.

[18] Yvette Veyret: ***Le Développement Durable : approche plurielle, Op. Cit.,*** p 22.

[19] -Lapergues Maryse, Denis Serre: ***Op. Cit.,***p 68.

[20] - BrundtlandGroHarlem***: Notre avenir à tous***, rapport de la commission Mondiale sur l'Environnement et le développement,Les Editions du Fleuve, 1987, p 51.

[21] سمر محمد علي محمود حمدون: **تفعيل التربية المتحفية لتنمية الوعي الثقافي لتلاميذ المدرسة الاعدادية – تصور مقترح-**، رسالة ماجستير في التربية، قسم أصول التربية، معهد الدراسات و البحوث التربوية، جامعة القاهرة، 2013. ص03.

[22] هيلدي.س. هاين: **المتاحف و التعليم**؛ مجلة رؤى تربوية، ترجمة يوسف تيبس العدد 46، أوت 2019. ص54-68.

[23] سمر محمد علي محمود حمدون: مرجع سابق. ص03.

[24] المرجع نفسه. ص04.

[25] المرجع نفسه. ص04.

[26] بوابة السياحة العربية :http://almasalla.travel/237264/